٣٠٧ - وكلَّمَ إلى طبة الرسول لينظر، وكلَّمَ قطعة القلب الذي ينتفظر

٣٠٨ - وتما أتت طبة الرسول قلادة ، إذا دمعة في خده تتحدر

٣٠٩ - وقال رسول الله والشوق بالغ ، إلحق وصوت المصطفى ليست يظهر

٣١٠ - إذا شئتم ردوا إليها قلادة ، وفكوا أسار الزوج الذي بات يؤسر

٧٢٠٠ ١٧/١١/١٤٣٨هـ

فضائل خديجة

٢٣١١ - خديجةُ زوجُ المصطفى اللهُ خصَّها ... بأعظمِ مخلوقٍ له تتخيَّرُ

٢٣١٢ - أما قالَ طه ذي الكمالُ بعينِهِ ... ألا إنَّها بينَ النساءِ لتَنْدُرُ

٢٣١٣ - ويُرزقُ خيرُ الخلقِ حبَّ خديجةٍ ... بها زوجةً خيرُ الأنامِ يبكِّرُ (١)

٢٣١٤ - وتختارُهُ زوجًا لها بينَ أمَّةٍ ... من الناسِ شاءوها وأحمدُ تؤثِرُ (٢)

٢٣١٥ - ألا إنَّها أخلاقُ أحمدَ تظهرُ ... ألا إنَّها قلبَ العقيلةِ تأسِرُ

٢٣١٦ - ألا إنَّ ربَّ العرشِ نوَّرَ قلبَها ... وقلبُ الهدى ربُّ الهدى لينوِّرُ

٢٣١٧ - ويُرزقُ منها اللهُ طه عيالَهُ ... ألا إنَّ إبراهيمَ ماريةُ تحضِرُ (٣)

٢٣١٨ - تجيءُ بنيهِ من الحياةِ ليقبُرُ ... وفاطمةُ الزهراءُ أحمدَ تقبِرُ

٢٣١٩ - لفاطمةَ الزهراءِ أحمدُ قد دعا ... وزوجٍ لها إنَّ البنينَ لتكثُرُ

٢٣٢٠ - خديجةُ سبَّتْ للبنينَ جميعِهِمْ ... وأحمدُ جدٌّ إنَّهُ الفضلُ يكبُرُ

---

(١) خديجة أول زوجاته صلى الله عليه وسلم.

(٢) أمَّة من الناس: جماعة.

(٣) كل بنيه صلى الله عليه وسلم من خديجة إلا إبراهيم فمن ماريةَ القبطيةِ.

٢٢٤١ خَدِيجَةُ قَدْ كَانَ الْمَتْيَمِنُ خَصَّهَا ... بِخَيْرٍ كَثِيرٍ وَالرَّسُولُ يُخَبِّرُ

٢٢٤٢ جَمِيعُ الَّذِي قَدْ قَالَ أَحْمَدُ وَحْيُهُ ... تَعَالَى وَفَضْلُ اللهِ مَا كَانَ يُحْصَرُ

٢٢٤٣ وَجِبْرِيلُ يَأْتِيهِ دَوَامًا بِحَظِّهَا ... مِنَ الْخَيْرِ وَالْمُخْتَارُ بِذَا يُنْشَرُ

٢٢٤٤ خَدِيجَةُ كَانَتْ قَلْبَ أَحْمَدَ خَافِقًا ... تَجِيءُ دَوَامًا مَا عَلَيْهِ يُيَسَّرُ

٢٢٤٥ إِذَا مَا خَلَا مِنَ الْغَارِ تِلْكَ خَدِيجَةُ ... تُرَاقِبُ مَا يَعْتَاجُ طَهَ وَتُحْضِرُ

٢٢٤٦ لَقَدْ وَظَّفَتْ مِنْ أَجْلِ طَهَ ثَرَاهَا ... فَأَخْلَاقُ طَهَ لِلْعَظِيمِ تُؤَشِّرُ (١)

٢٢٤٧ وَلَمْ تَكُ تَدْرِي نَوْعَ خَيْرٍ يَجِيئُهُ ... وَمَا كَانَ طَهَ ذِي الْخَيْرِ يَجْزِرُ (٢)

٢٢٤٨ وَقَدْ شَاءَ رَبُّ الْعَرْشِ إِكْرَامَ عَبْدِهِ ... وَمِنْ أَجْلِ ذَا الْإِكْرَامِ رَبِّي يُسَخِّرُ

٢٢٤٩ وَأَحْمَدُ مِنْ مَالِ الْعَقِيلَةِ يَتْجُرُ ... وَقَدْ بُورِكَتْ أَعْمَالُهُ حِينَ يَتْجُرُ (٣)

٢٢٥٠ وَمَنْ كَانَ فِي ذَا الْحَقْلِ يَمْلِكُ وَقْتَهُ ... فَكَيْفَ بِطَهَ حِينَمَا يَتَحَرَّرُ

٢٢٥١ وَذَيْكَ فَضْلُ اللهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... أَلَا إِنَّهُ فِي الْغَارِ دَوْمًا يُفَكِّرُ

---

(١) لِلْعَظِيمِ تُؤَشِّرُ: بِالْأَمْرِ الْعَظِيمِ الْمُنْتَظَرِ تُؤَشِّرُ وَتُومِئُ.

(٢) يَجْزِرُ: بِكَسْرِ الزَّايِ: يُقَدِّرُ بِالتَّخْمِينِ وَالظَّنِّ.

(٣) يَتْجُرُ: بِضَمِّ الْجِيمِ: يُمَارِسُ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ.

٣٣٢. فَلَيْسَ لِطَهَ أَيُّ شَيْءٍ يَرُدُّهُ ∴ سِوَى مِلَّةِ التَّوْحِيدِ ذَاكَ مُقَدَّرُ

٣٣٣. وَمِلَّةُ جَدٍّ قَدْ أَرَادَ مُحَمَّدٌ ∴ حَيَاةً لَهَا إِذْ إِنَّهَا تَتَغَيَّرُ (١)

٣٣٤. تَتَغَيَّرُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ يَسُوءُ سُمْهَا ∴ أَلَا إِنَّ دَاءَ الشِّرْكِ فِيهَا يُسَيْطِرُ

٣٣٥. وَكَانَ سَعَى طَهَ بِإِحْيَاءِ رَسْمِهَا ∴ تَعَالِيمُهَا بِالشِّرْكِ بَاتَتْ تُدَمَّرُ

٣٣٦. ثُمَّ حُنَفَاءُ الْقَوْمِ شَاءُوا رُجُوعَهَا ∴ إِلَى نَبْعِهَا الْأَصْلِيِّ إِذْ كَانَ يَغْزُرُ (٢)

٣٣٧. زَعِيمُهُمُ طَهَ الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ ∴ عَلَى فِطْرَةِ التَّوْحِيدِ أَحْمَدُ يُفْطِرُ

٣٣٨. وَفِطْرَةُ رَبِّ الْعَرْشِ تَبْقَى مُحَمَّدًا ∴ يُوَحِّدُهُ مَعْبُودُهُ وَيَتَأَثَّرُ

٣٣٩. وَمَوْلَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ صَانَ مُحَمَّدًا ∴ لِمَوْلَاهُ رَبِّ الْعَرْشِ طَهَ يُوَقِّرُ

٣٤٠. جَمِيعُ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الشِّرْكِ قَوْمُهُ ∴ لِأَصْنَامِهِمْ طَهَ بِحَقٍّ يُحَقِّرُ

٣٤١. وَمَا اسْطَاعَ طَهَ أَنْ يُعِيدَ حَنِيفَةً ∴ إِلَى أَصْلِهَا وَهُوَ الزَّعِيمُ الْمُوَقَّرُ (٣)

٣٤٢. وَلَكِنَّهُ إِذْ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ ∴ لِيَمْنَعَهَا مِنْ أَنْ يَزِيدَ تَدَهْوُرُ

(١) الجدّ هو إبراهيم عليه السلام.
(٢) أراد الحنفاء إحياء حنيفيّة إبراهيم عليه السلام وزعيمهم محمّد الأمين.
(٣) رجوع الحنيفيّة عن طريق الوحي وحده وليس بالاجتهاد.

٢٣٤٢- مكارمُ الأخلاقِ بِها الجدَّةُ قد أتَتْ ، ليُبْقِيَ عليها أحمدُ المُتطهِّرُ

٢٣٤٤- خديجةُ كما أنْ تتزوَّجَ أحمدُ ، يُطبِّقُ فيها حُكمَ جدٍّ يُقرِّرُ

٢٣٤٥- وهذا الذي طه أتى بعدَ بعثةٍ ، حنيفةُ إبراهيمَ الذي تتذكَّرُ (١)

٢٣٤٦- أمرُ إناطةٍ قد أتى بحنيفةٍ ، وقد جاءَ جبريلُ بالوحيِ يقطرُ

٢٣٤٧- وأحمدُ خيرُ الخلقِ يرتاحُ حينما ، خديجةُ تُرعاهُ ووحيًا تُقرِّرُ

٢٣٤٨- خديجةُ كانتْ أنكرتْ كلَّ قعقعٍ ، أمرُ إناطٍ من أجلِ أحمدَ تُنكِرُ

٢٣٤٩- أمرُ إناطِ صرخِ الكفورِ تقهَّرُ ، أمرُ إناطِ صرخِ الرسولِ تُعمِّرُ

٢٣٥٠- وكانَ أتى جبريلُ أحمدَ حاملًا ، سلامًا لها من عندِ ربٍّ مُكبِّرُ

٢٣٥١- وبلَّغها الرسولُ سلامَهُ ، تعالى وردَّتْ بالسلامِ تُعطِّرُ

٢٣٥٢- وصاحبَ إرسالِ السلامِ بشارةٌ ، ببيتٍ لها في جنةٍ يتقعَّرُ

٢٣٥٣- أمرُ إناطِ ذاكَ البيتِ لؤلؤةٌ صفتْ ، وليسَ بها شيءٌ له تتضجَّرُ

---

(١) بطريقةٍ واحدةٍ تزوَّجَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم خديجةَ قبلَ البعثةِ وسَوْدةَ وعائشةَ حتى ميمونةَ آخرَ زوجاتهِ صلى الله عليه وسلم وذلك بعدَ البعثةِ . فقد بُعِثَ صلى الله عليه وسلم بحنيفيةِ جدِّهِ إبراهيمَ عليه السلام .

٢٣٥٤- وإنَّ سلاماً جاءها من مليكها ... ويُرسِلُهُ جبريلُ حينَ يُكرِّرُ

٢٣٥٥- أتاها بإنَّهُ جبريلُ حينَ يُكرِّمُ ... وجبريلُ يأتي ما يشاءُ ويأمرُ (١)

٢٣٥٦- رسولُ الإلهِ قد كان بلَّغَ زوجةً ... بذا الخيرَ يأتي إنَّها مُبشَّرُ

٢٣٥٧- خديجةُ كانتْ آمنتْ بمحمَّدٍ ... وكان تعالى وحدَهُ يتأخَّرُ

٢٣٥٨- خديجةُ لبَّتْ للنِّداءِ أتى لها ... مِنَ الزَّوجِ ذا لطفَ الرَّسولُ المطهَّرُ

٢٣٥٩- ويُعرَفُ الإنسانُ شخصٌ كزوجِهِ ... بأخلاقِ طهَ ذي خديجةُ تُؤثِرُ

٢٣٦٠- أليستْ هي التي تختارُ أحمدَ زوجَها ... خديجةُ سمَّتْ ذا بمَنْ يتطهَّرُ

٢٣٦١- وأنتِ أيا تاريخُ لستَ تُخبِّرُ ... بتيسيرِ زواجٍ من خديجةَ يُبهِرُ (٢)

٢٣٦٢- أتى بإنَّ طهَ خيرُ من وطِئَ الحصى ... وطاهرةٌ تختارُ مَنْ كان يُظهِرُ (٣)

٢٣٦٣- خديجةُ يا تاريخُ لم تُعطَ حقَّها ... وكانتْ عن المختارِ زوجاً تُعبِّرُ

٢٣٦٤- وذاكَ زواجٌ قد عَنَتْ الطُّهرَ كلَّهُ ... مكارمُ أخلاقٍ بمكَّةَ تُؤثَرُ

---

(١) بلَّغ سلام الله عليه وسلَّم خديجة السلام عليها من الله تعالى ومن جبريل عليه السلام.

(٢) واجب التاريخ أن يتحدث عن مكارم الأخلاق هذه ويحتفي بها.

(٣) الحصى: صغار الحجارة. ولقب خديجة قبل البعثة الطاهرة الإصابة ٤/ ٢٨١.

٢٣٦٥- مكارمُ أخلاقٍ لِجَدِّ محمدٍ ... تعودُ وأهلُ الفضلِ ذلكَ قد رأوا (١)

٢٣٦٦- هُمُ حفظوا تلكَ المكارمَ إنها ... ترِثُ كلُّ أهلِ الفضلِ صانوا وعمَّروا

٢٣٦٧- وأحمدُ خيرُ الخلقِ كانَ زعيمُهم ... لكلِّ كريمٍ حظُّهُ وهْوَ أوفرُ (٢)

٢٣٦٨- خديجةُ منهُم إنها لتُعبِّرُ ... عنِ الزوجِ ممنْ تختارُهُ وتُقدِّرُ

٢٣٦٩- وأحمدُ فيهِ الخلقِ قدَّرَ رأيَها ... وباركَهُ واللهُ للخيرِ يقدِّرُ

٢٣٧٠- نسيتَ أيا تاريخُ رأيَ خديجةٍ ... أمرٍ إنهُ في الجاهليةِ جوهرُ

٢٣٧١- ومنْ جاءَ بنسيانٍ شبيهاً لما جرى ... عليهِ أداءُ العُذرِ عنهُ يكفِّرُ

٢٣٧٢- تحدَّثتُ عنْ ظُلمِ الجهولينَ بُرهةً ... وقولي هذا ليسَ بالمتنكِّرُ

٢٣٧٣- ولكنْ لماذا أنتَ لمْ تُعطِ رأيَها ... منَ الوزنِ ما أعطاهُ منْ قد تفكَّروا

٢٣٧٤- خديجةُ منْ قد نوَّرَ اللهُ قلبَها ... لتختارَ لهُ زوجاً وهْوَ أجدرُ

٢٣٧٥- وأحمدُ خيرُ الخلقِ أبقاهُ ربُّهُ ... يتيماً ورَبَّى العرشِ بالقلبِ يجبُرُ

---

(١) الجدّ: إبراهيم عليه السلام.

(٢) لكلّ كريم حظّ: موقوف من قول المكارم.

٣٢٧٦. ووفق رب العرش جدة محمد ... وتمثال له كل يزحمه يكبر

٣٢٧٧. وقاما بما رؤما يقوم به أب ... وبا ثأب ظهر ابن ليقوى ويقدر

٣٢٧٨. ولكن قلب المصطفى ظل فارغا ... فنادى أمه وقع الصغير لتقبر

٣٢٧٩. بطيبة أخوال النبي محمد ... وآمنة أم رهم تقتر (١)

٣٢٨٠. وقد رغبت في أن تزوج بأهلها ... زيارة أهل ثم رأي مقتر (٢)

٣٢٨١. زيارة أهل ثم ينقلب منعش ... وآمنة كانت بدت تتشعر

٣٢٨٢. وآمنة قامت بما ستر قلبها ... زيارة أخوال انبطا ذا مقتر (٣)

٣٢٨٣. فقد شاء رب العرش أثناء عودة ... تموت وفي الأبواء قبر مشهر

٣٢٨٤. تموت ويوتى بأن محمدا ... يؤم مخلوق ملوك تنشر

٣٢٨٥. ويبعث رب العرش أحمد رحمة ... لمن آمنوا والقوم بالكفر تشعر

٣٢٨٦. أرى ابنة خير من وطئ الثرى ... رسول وفي سلح المعاري قسور

(١) أخوال النبي صلى الله عليه وسلم بنو النجار في المدينة المنورة. نور اليقين ص ٤٣

(٢) مقتر: مختبر.

(٣) مقتر: من الله تعالى.

٣٨٧ وأحمد ربّ العرش أعطاه دولة ... وأحمد خير الخلق يخشاه قيصر

٣٨٨ زعيم أولي عزم من الرسل أحمد ... من الفضل ما قد جاءه ليس يحصر

٣٨٩ ودولته خير الخلق من الأرض تظهر ... ودعوته بيضٌ في الأرض تظهر

٣٩٠ بذا الفضل ربّ العرش خصّ محمداً ... أبا إنّ طه حاكم وصبشر

٣٩١ وأحمد خير الخلق قد قاد جيشه ... وإذ هو بالأبواء للأم يذكر (١)

٣٩٢ ويذكر طه جيشه وبأمّه ... ليمضي وصيّ أمّه يتذكر

٣٩٣ على قبرها يبكي النبيّ محمدٌ ... وقد كاد جفن المصطفى يتفطر (٢)

٣٩٤ وإنّ رسول الله يعلو عويله ... ويسمعه الجيش الذي كان يكبر

٣٩٥ وإذ تسمع الجيش العويل فقدنا ... بمكة حوله طه الهدى ليس يشعر

٣٩٦ وأحمد خير الخلق في جعّ أمّه ... وجعّ حنانٍ ألمّ بالنفس يشعر

٣٩٧ وهل مثل خير الخلق من بثّ أمّه ... وآمنة تاريخها اليوم ينشر

---

(١) توفيت أمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ودفنت بالأبواء. نور اليقين ٣٢.

(٢) جفن، بفتح الجيم: غطاء العين من أعلاها وأسفلها.

٣٩٨. لِفَرْطِ بُكَاءِ الْمُصْطَفَى بَعْدَ قَبْضِهَا ، وَفَرْطِ تَمَوُّلِ جَيْشُهُ يَتَأَثَّرُ

٣٩٩. وَمَا ضَرَّ كُلَّ الْجَيْشِ يَبْكِي بِحُرْقَةٍ ، وَفَاطِمَةٌ بِالْبُكَاءِ لَيْجْبُرُ

٤٠٠. وَإِنَّ بُكَاءَ الْمُصْطَفَى الْيَوْمَ أُمَّةٌ ، يُشِيرُ إِلَى فِقْدَانِهَا وَهْوَ يَعْذُرُ

٤٠١. وَفِقْدَانُ أُمِّ ذَاكَ يَعْنِي خَنَازِرًا ، وَذَاكَ خَنَانٌ بَاتَ أَحْمَدُ يَغْفِرُ

٤٠٢. وَأَحْمَدُ عِنْدَ الْقَبْرِ يَبْكِي خَنَازِرًا ، وَذَاكَ الَّذِي بَاتَتْ خَدِيجَةُ تُحْضِرُ

٤٠٣. وَمَوْلَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ خَصَّ خَدِيجَةً ، بِتَقْرِيرِ عَلْيَاهُ وَحُبَّاهَا هِيَ تَقْدِرُ

٤٠٤. وَإِنَّ لِبِنْتِ زَوْرِ الْأُمُومَةِ إِنَّهَا ، تَقُومُ بِتَقْرِيرِ الْأُمُومَةِ يَغْبُرُ (١)

٤٠٥. خَدِيجَةُ قَدْ قَامَتْ بِتَقْرِيرِ حَلِيلَةٍ ، وَتَقْرِيرُ أُمٍّ فَاقِدٍ ثُمَّ يُكْبِرُ (٢)

٤٠٦. وَمَوْلَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ يَخْتَارُهَا لَهُ ، وَأَحْمَدُ يَخْتَارُ الَّتِي تَتَفَكَّرُ

٤٠٧. جَمِيعُ الَّذِي الْمُخْتَارُ صَادَفَ بَدْءَهُ ، خَدِيجَةُ مَنْ يَرْعَى وَمَنْ يَتَدَبَّرُ

٤٠٨. وَيَخْتَارُ طِفْلًا ، تَعْقِلُ وَابْنَ عَمِّهَا ، وَهَذَا الَّذِي عِنْدَ النِّسَاءِ لَيَنْذُرُ

---

(١) يغبر : بضم الباء ، يتأثر .

(٢) حليلة : زوجة .

٤٤٠٩ - وباركَ طه عقلها وتسامحا ، وقال بنا في أمة الحق تفخر

٤٤١٠ - وتمرّ هذا الطيب من قبل حقبة ، لأم أم عيسى بالكمال تظهر (١)

٤٤١١ - ثم بارك كلاً منهما بست أطهر ، وبست نساء ذاك قدر مقدر (٢)

٤٤١٢ - وزيد فضل في الحياة نعيشها ، وجنات عدن حيث قدماً ستحضر

٤٤١٣ - وإن هناءً من خديجة باعث ، لأحمد كي يبقى الذي يتصور

٤٤١٤ - وزيد تنوعٌ من هناءٍ مخصص ، لزوجٍ وإن قد كان في العمر يكبر

٤٤١٥ - لزوجات طه إن نظرت لواحدٍ ، خديجة ذات الدور لا تتكرر

٤٤١٦ - وليس سواها واصلاً لهنائها ، وذاك الذي طه بذا العمر ينظر (٣)

٤٤١٧ - وإن هناءً قبّه طيّب خديجة ، لأحمد طول العمر قد بات يذكر

٤٤١٨ - وكان أحسّ المصطفى بهنائها ، وقد غاب إذ ماتت وفي القبر تقبر

٤٤١٩ - ويعطل ربّ العرش زوجاً وزوجة ، سكينة كل إن هذا مقدر

---

(١) كملت في أم المسيح مريم بنت عمران وفي السيدة خديجة بنت خويلد.

(٢) قدر مقدر : قدر مضبوط ومكسوب ، انظر صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٦ حديث رقم ٢٤٣٠ وفتح الباري ٧/ ١٣٣ حديث رقم ٣٨١٥ و ٣٨١٦ و ٣٨١٩ و ٣٨٢٠

(٣) ينظر : ينتظر .

٤٤٠ وشاة سليك العرشين يفقد أحمد ... حنانا ببيت والأمان يعز (١)

٤٤١ حنان ببيت جسدته خديجة ... وآمن بعلم خارج البيت يبرز

٤٤٢ بموت بكل منهما يتأثر ... بموت يزوج ذا التقا وأكثر

٤٤٣ لفقد حنان الزوج يغشى على الهدى ... بصديقة كسر الحنان ليعجب (٢)

٤٤٤ خديجة في سن تخطت الكبر ... وصديقة في سن خطت الصغر

٤٤٥ ثلاثة أعوام صغت لوطاتها ... وصيغة من بعدها الطلب تعمر

٤٤٦ ثلاثة أعوام وذا القلب شاعر ... ألا قلبه صن حنان ليشعر

٤٤٧ وأحمد إنسان ويرزق حبها ... وبيت حب بات أحمد يظهر

٤٤٨ وينبت آيات تبين من الهدى ... وأحمد عن ذا الحب لوما يعبر

٤٤٩ وزيدت طه الصدق من كل قوله ... ألا إن طه مصطفى ملتخر

٤٥٠ وطه يوقر دائما من عداوه ... وقول الهدى صدق ولا يتغير (٣)

---

(١) يعز : يقوى (٢) انظر ما سبق ٤/ ٢٨٢

(٣) وقر عن الشيء : أراده وأظهر غيره . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفرا وقر بغيره .

٤٣١ خديجةُ في قلبِ النبيِّ محمدٍ ، وذا الحبُّ في قلبِ الهدى ليسَ يُنشرُ

٤٣٢ وأحمدُ عن ذا الحبِّ يُعلنُ دائمًا ، وعن ذكرِ هذا الحبِّ لا يتأخرُ

٤٣٣ فمن ذي عجوزٍ قد أتتْ لمحمدٍ ، وصدّيقةٌ في بيتِها ذاكَ يظهرُ

٤٣٤ ويسألُها عن حالِها فتُجيبُهُ ، بأنّا بفضلِ اللهِ في الخيرِ نكثرُ

٤٣٥ ويفرحُ طه حينَ يسمعُ قولَها ، وعن ذي المعنى سؤالٌ يكرّرُ

٤٣٦ ويسألُها طه عن الحالِ بعدَهم ، فتحمدُ صفوحًا الكريمَ وتشكرُ

٤٣٧ وكانتْ فتى طه بأمٍّ ووالدٍ ، وأهلٍ بما قالتْ طه ليُخبرُ

٤٣٨ وصدّيقةٌ قالتْ عجوزٌ مسنّةٌ ، يُكرّرُ طه سِنَّها ذا يحيّرُ

٤٣٩ وقد علمتْ أنّ العجوزَ صديقةٌ ، لأمِّ بنيهِ وصفُ عهدٍ يذكّرُ (١)

٤٤٠ صيانةُ حُسنِ العهدِ من خُلقِ ديننا ، وعن حُسنِ العهدِ يُحثُّ ويُذكرُ

٤٤١ وصدّيقةٌ غارتْ لذكرِ خديجةٍ ، لغيرتِها ليسَ الهدى يتأخرُ (٢)

---

(١) كانت هذه العجوز صديقةً لخديجة رضي الله تعالى عنها.

(٢) انظر مثلاً - فتح الباري ١٠/ ٤٣٥ حديث رقم ٦٠٠٤ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٨٨ حديث رقم ٢٤٣٥.

٤٤٢٤- وغيرة أنثى تلك فيها سجية ... ولو من عجوز من قديم لتعقر

٤٤٢٥- وأحمد لا يبدي اهتماما بغيرة ... أرى إنها الأنثى عليها لتفطر

٤٤٢٦- وصية يقة كانت لبيت تظهر ... بأكثر من زوج سواها لتفطر

٤٤٢٧- وغيرتها كانت دواما لتظهر ... وليست على ما مات قبل لتقصر

٤٤٢٨- فزينب زوج المصطفى طبعت وقد ... أرادت لطمة الذوق لو يتيسر (١)

٤٤٢٩- وقد فضل ذاك اليوم عائشة التي ... إليها أتى من ضرة ما يكدر (٢)

٤٤٣٠- فما كانت منها غيرة كسير إنائها ... وهذا طعام في التراب يعفر

٤٤٣١- يقول الذي قد غارت اليوم أمكم ... وهذا إذا هذي غيرة ليس تنكر

٤٤٣٢- لقد صدأت زوجي الرسول محمد ... يسيرا طاعادت رءوم تفكر

٤٤٣٣- يطالبها طة طعاما وصحفة ... فقام الذي ألقت وفي الأرض تكسر (٣)

---

(١) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها.

(٢) ضرة، بفتح الضاد: إحدى زوجتي الرجل أو إحدى زوجاته. انظر فتح الباري ٩/٣٠٢ حديث رقم ٥٢٢٥ وص ٣٠٤ ذكر اسم عائشة وزينب.

(٣) صحفة: إناء من آنية الطعام.

٤٥٢- وصيةٌ بقةٌ من فورها جاءت الذي ... به أحمدُ المختارُ زوجاً ليأمرُ

٤٥٣- وليس يبالي فوقَ هذا بغيرةٍ ... لأنا بإنا بالشخصِ صحَّ نؤشرُ

٤٥٤- لأن كلَّ شخصٍ صحَّ يُظهرُ غيرةً ... وربُّكَ من كلِّ الغيورينَ أغيرُ

٤٥٥- على حُرماتِ اللهِ ذاكَ شعورُهُ ... عليهِ صلاةُ اللهِ ما الشمسُ تزهرُ

٤٥٦- بقدرِ نصيبِ الحقِّ تُحمدُ غيرةٌ ... ومن غارَ في حقٍّ فإنا لنشكرُ

٤٥٧- وزوجاتُ خيرِ الخلقِ قد غِرنَ دائماً ... وصيةٌ بقةٌ رَوْعاً تغارُ وتثأرُ

٤٥٨- زعيمةُ حزبٍ من نساءِ محمدٍ ... لصيةٌ بقةٌ كانتْ من الكلِّ تصغرُ (١)

٤٥٩- وتعلمُ أنَّ المصطفى ليُحبُّها ... ويكنَّ طهَ قلْ خديجةَ تؤثرُ

٤٦٠- وهذا سؤالٌ قد أراتْ جوابَهُ ... خديجةُ من قبرٍ ولم تكُ تظهرُ

٤٦١- وظلَّ النهارَ رَوْعاً على حُسنِ عهدِهِ ... ومن كانَ ذا حُسنٍ فلا يتغيرُ

٤٦٢- إذا يذبحُ المُختارُ شاةً فإنهُ ... ليُهدي صديقاتِ العقيلةِ يذكرُ (٢)

---

(١) عائشة زعيمة حزب من زوجاته صلى الله عليه وسلم وزينب زعيمة الحزب الآخر، رضوان الله تعالى عليهن أجمعين.

(٢) العقيلة: خديجة رضي الله تعالى عنها.

٤٦٣ - وكان يُحِبُّ المصطفى كُلَّ أهلها ، وممن عرفتُ أنه لم يكن يتأخر

٤٦٤ - ويفرح إن قد زارهُ بعضُ أهلها ، وإذ أختُها زارتْ يُسرُّ ويُعجبُ

٤٦٥ - وحالةُ أختِ العقيلةِ دائمًا ، تزورُ الهدى وإلى البنين لتحضرا (١)

٤٦٦ - وصوتُ تعجبٍ رقَّ على الباب واقفٌ ، لكلِّ وفي قلبِ الرسولِ يؤثرُ

٤٦٧ - وحالةُ إذ جاءتْ لبيتِ محمدٍ ، ودقَّتْ على بابِ الهدى يتذكرُ

٤٦٨ - يقومُ رسولُ اللهِ للبابِ مُسرعًا ، يقولُ أرى ذا دقُّ حالةَ يُشعرُ

٤٦٩ - أرى إنها تأتي لِتُبنا بأختِها ، تزورُهُمُ هذا فوعائي أُقدرُ

٤٧٠ - لحالةَ طه يفتحُ البابَ مُسرعًا ، لِتدخلَ فورًا إنها لا تُؤخرُ

٤٧١ - يرى اللهُ رسولي لله يبسطُ كفَّها ، ويبسطُ يدا أختِهِ بفعلٍ يُعبرُ

٤٧٢ - أرى إنها أختُ العقيلةِ زوجِهِ ، خديجةَ فما قلبُ الهدى يتأثرُ

٤٧٣ - وهذا الذي يأتي الوعاءُ بعينِهِ ، وحُسنُ وعاءِ المرءِ أمرٌ مُيسرُ

---

(١) أي هالة الخالة تزور أبناء أختها خديجة زوجة محمد صلى الله عليه وسلم.

٤٧٤ - وأعظم نفس من تحب حبيبها ... بهند الهند من العالمين الأجندر

٤٧٥ - تجيخ الذي قال الرسول وجاءه ... يقول ألا حب العقيلة يخنصر

٤٧٦ - ولم يتزوج قط أحمد قبلها ... ولم يتزوج حينما هي تبصر (١)

٤٧٧ - خديجة قد ماتت وأحمد يقبر ... ويغشى على طه وذلك يخبر (٢)

٤٧٨ - وسودة لم تملأ فراغ خديجة ... فؤاد رسول الله حقا ليشعر (٣)

٤٧٩ - بأحمد رب العرش يلطف حينما ... يزوجه الصديق بكرا وتصغر

٤٨٠ - لقد هلكت من قلب طه فراقه ... وطه حنانا للعقيلة يذكر

٤٨١ - لقد ترك وقت فيه أحمد قد رجا ... حنانا بتلك العقيلة تظفر

٤٨٢ - ألا إنه الإنسان يحتاج مرة ... حنانا حنان المرء لا يتكرر

٤٨٣ - حنان شبيه الزر في مستقر ... ومن نال سبقا فهو بالزر يجدر

٤٨٤ - ومن جاء بعد السبق يدري حقيرة ... لغزة أطلت بها الريح تهمز

---

(١) تبصر: ترى بعينها قبل أن تموت.

(٢) انظر صفة صابئة ٤/٢٨٢.

(٣) تسوزة بن زمعة: أول زوجاته صلى الله عليه وسلم بعد خديجة.

٤٨٥- بِصِفَةٍ خَصَّ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا ، وَمَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ الْيَوْمَ أَكْبَرُ

٤٨٦- وَكَانَتْ عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّ مَقَامَهَا ، بِقَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ رَبَّةُ فَخْرِ

٤٨٧- وَذَاكَ الَّذِي الْمُخْتَارُ بَيَّنَهُ لَهَا ، وَذَاكَ الَّذِي قَدْ كَانَ أَحْمَدُ يُظْهِرُ

٤٨٨- وَلَكِنَّ خَيْرَ الْخَلْقِ يَذْكُرُ دَائِمًا ، خَدِيجَةَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَيْسَ يُنْكَرُ

٤٨٩- فَهَلْ ذَاكَ رَدُّ الْجَمِيلِ بِمِثْلِهِ ، وَمَنْ مِثْلُ طَهَ لِلْجَمِيلِ يُقَدِّرُ

٤٩٠- وَهَلْ ذَاكَ يَعْنِي أَنَّ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ، خَدِيجَةُ مَنْ يَحْتَلُّهُ وَهْيَ تَقْبُرُ

٤٩١- وَصِفَةٌ يَقَظٌ كَانَتْ عَلَى الْعِلْمِ أَنَّهَا ، عَلَى كُلِّ زَوْجَاتِ الْهُدَى تَتَصَدَّرُ

٤٩٢- أَتَتْهُ خُلُقٌ مِنْ تَرَبِّيبِ خَدِيجَةٍ ، فَأَبْقَى أَمَامًا أَمْ خَدِيجَةُ تَنْذُرُ (١)

٤٩٣- وَصِفَةٌ يَقَظٌ ظَنَّتْ لَهَا الْيَوْمَ خِنْصِرٌ ، وَيَبْقَى لِأُخْرَى بَعْدَهَا الْيَوْمَ بِنْصِرُ (٢)

٤٩٤- وَصِفَةٌ يَقَظٌ زَادَتْ عَلَى الْكُلِّ غَيْرَةً ، فَلَوْ إِنَّهَا بَيْنَ الْخَلِيلَاتِ أَغْيَرُ

---

(١) تَنْذُرُ : تَخْرُجُ . يُقَالُ : نَذَرَ الْغُصْنُ فَنَذَرَتْ مِنْهُ الثِّمَارُ . وَنَذَرَ فُلَانٌ مِنْ عِلْمٍ وَفَضْلٍ : تَقَدَّمَ وَقَلَّ وُجُودُ نَظِيرِهِ .

(٢) تَمَنَّتْ عَائِشَةُ أَنْ يَكُونَ لَهَا الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . خِنْصِرٌ : بِكَسْرِ الْخَاءِ وَالصَّادِ : الْإِصْبَعُ الصَّغِيرُ مُؤَنَّثَةٌ . وَالْبِنْصِرُ : بِكَسْرِ الْبَاءِ وَالصَّادِ : الْإِصْبَعُ بَيْنَ الْوُسْطَى وَالْخِنْصِرِ مُؤَنَّثَةٌ .

٤٩٥. بِكْرَةِ ذِكْرِ المصطفى لِخَدِيجَةَ : تغارُ ابنةُ الصِّدِّيقِ إذْ تناثَرُ

٤٩٦. وصِدِّيقةٌ لَمْ تَلْقَ يَوْمًا خَدِيجَةً : ولَمْ تَرَها والمَوْتُ بالقَبْرِ يُحْضِرُ (١)

٤٩٧. وليستْ ذِكْرَ المصطفى لِخَدِيجَةٍ : لِتَجْعَلَها مِن أُمِّها تَتَفَكَّرُ

٤٩٨. أتَسْبِقُنِي مِن قَلْبِ طَهَ خَدِيجَةٌ : لِتَسْبِقَنِي أَمْ أَنَّها تَتَأَخَّرُ

٤٩٩. وهذا سُؤالٌ عَنْهُ أَحْمَدُ وَحْدَهُ : يُجِيبُ بِقَوْلِ الصِّدْقِ أَحْمَدُ يُجْهَرُ

٥٠٠. وفي واحِدٍ مِن أيّامٍ جاءَتْ طَرِيقَةٌ : خَدِيجَةُ كانَتْ مِنْ يَقُولُ وتُؤْثِرُ

٥٠١. كعادَتِهِ طَهَ لِيُكْرِمَ ضَيْفَةً : خَدِيجَةُ فَكانَتْ لَها مِنْ يُقَدِّرُ

٥٠٢. وقِمَّةُ إكْرامٍ إذا تَبْسُطُ الهُدَى : بِرِداءٍ لَهُ صِدِّيقَةٌ ذاكَ تُنْكِرُ

٥٠٣. وتَبْسُطُ طَهَ لِلْعَجُوزِ رِداءَهُ : وتَسْأَلُ عَنْها وهْيَ تُعْبِرُ

٥٠٤. وإذْ سَمِعَتْ صِدِّيقَةٌ كانَ رَدُّهُ : خَدِيجَةُ فَكانَتْ بِهذا لَتُخْبَرُ (٢)

٥٠٥. أَلا إنَّها صِدِّيقَةٌ تَتَفَكَّرُ : شَبِيهَةُ بُرْكانٍ إذا يَتَفَجَّرُ

---

(١) توفيت خديجة قبل الزواج بعائشة بثلاث سنوات. انظر فتح الباري ٧/١٠، ٣٥ ح حديث رقم ٣٨٩٦.

(٢) تُخبَر: تُسَرّ.

٥٠٦ تَقُولُ لَهُ رَهْطًا خَدِيجَةُ تَذْكُرُ ... كَأَنَّ بِهَا جِنَّتْ النِّسَاءِ لِيُغْمَدُ

٥٠٧ وَلَيْسَ بِفِيهَا أَيُّ سِنٍّ تَغَيُّرُ ... وَرِيحُ فَمِهَا مِثْلُ وَصَافُو أَخْضَرُ (١)

٥٠٨ وَأَبْنَاتُهَا الْأَرْحَامُ مِنْ بَعْدُ تَمِيمُهَا ... أَلَا إِنَّهَا فَيْءٌ وَأَبْهَرُ وَأَصْغَرُ

٥٠٩ وَمَا أَخَذَ الْمُخْتَارُ عَائِشَةَ الَّتِي ... تُخَارُ كَنَا الْبُرْكَانِ إِذْ يَتَحَرَّرُ

٥١٠ تَأَثَّرَ طَهَ إِذْ خَدِيجَةُ تُذْكَرُ ... وَمِنْ أَجْلِ قَوْلٍ إِنَّهُ يَتَأَثَّرُ

٥١١ وَيُقْسِمُ طَهَ حِينَ يَنْفِي ضَمَائِرَهَا ... وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّ الصَّغِيرَةَ تَبْهَرُ

٥١٢ يَقُولُ الرِّدَى مَقْوَلَهُ مَا بَدَا لَنَا ... أَبَرُّ وَأَبْهَرُ بَلْ خَدِيجَةُ أَخْيَرُ

٥١٣ وَقَدْ ذَكَرَ الْمُخْتَارُ بَعْضَ نُعُوتِهَا ... وَأَتَمَّ بِنِيهِ إِنَّنَا كُلًّا لَمُقْمِرُ (٢)

٥١٤ طَهَا خَلَّةُ خَيْرِ الْخَلْقِ ذَا الْيَوْمَ تَظْهَرُ ... خَدِيجَةُ دَوْمًا إِنَّمَا هِيَ خِنْصِرُ

٥١٥ وَحَسْبُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ إِذْ هِيَ بِنْصِرٌ ... لَهَا أَبَدًا إِنَّا وَأَخْلَاقُ لَهَّ تَنْضُرُ

٥١٦ أَلَا إِنَّ طَهَ بِالْحَقِيقَةِ يَجْبُرُ ... مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ دَوَامًا لَتَظْهَرُ

---

(١) الشَّمَّاق: جانب الفم مما تحت الثنة. وحمرته لخلوه من الإسنان.

(٢) أي لكل بنية هي أتم بنيه صلى الله عليه وسلم وكل منهم يشبه القمر.

٥١٧- يقول الهدى مولاي يرزق شبلا ، وبيت قول في الصراحة أظهر

٥١٨- أسبقت نساء الخلق أسديت نعمة ، إلى يوم حشر الخلق تشكر وتذكر

٥١٩- أنتخت لطه أن يقوم بدوره ، وهو أعظم خلق الله طه المطهر

٥٢٠- عليك سلام الله زوج محمد ، وأم جميع المؤمنين تطهرا

تمت ولله الحمد والمنة ٧٢٠ بيت

قبيل ظهر يوم الاثنين ٢٤/١١/١٤٣٨هـ

الموافق ١٤/٨/٢٠١٧م

مكة المكرمة

الخاتمة

بفضل من الله تعالى ونعمة، تمّ من الصفحات السابقة كتابة قصيدة أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها. وهي قصيدة رائية في بحر الطويل من (٢٥٢٠) ألفين وخمسمائة وعشرين بيتاً، ومطلعها:

خديجةُ بالأخلاقِ تعظُمُ تؤسَرُ ... أَلا إنّها أخلاقُ أحمدَ تبترُ

وتسبق القصيدة تمهيد تمّ الحديث فيه بإيجاز عن بعض المسائل التي تخدم القصيدة وتسلط شيئاً من الضوء عليها. والتمهيد والقصيدة متكاملان. وإنّ القصيدة تتحدث عن خديجة بنت مكة المثالية، والتاجرة المثالية، والتاجرة الحصيفة التي تحسن استثمار أموالها، وتستأجر الرجال الذين يمثلونها بصفة خاصة في رحلة الصيف إلى الشام. وشاء الله تعالى أن تستأجر محمداً فتى مكة الأمين، وأن تبعث معه في رحلته إلى الشام غلاماً ميسرة. لقد فُتِنَت ميسرة بأمانة محمد، وطُهرِه، وعفته، ومروءته، فقد سافر محمدٌ الأمين وهو صغير مع عمه أبي طالب في رحلة تجارية إلى الشام. لقد كان محمد يعلم البضائع التي تروج في الشام وفي مكة.

لقد وصف الغلام ميسرة لخديجة أخلاق محمد العظيمة، فرغبت في الزواج به ورأت له من تقنعه بالزواج به. ثمّ بفضل الله تعالى تزوج ست نساء لأمة اللاحقة، بخاتم النبيين وأشرف المرسلين، فكان منها كلّ أولاده سوى إبراهيم فمن مارية القبطية.

لقد وظّفت خديجة رضي الله تعالى كلّ ما منّ الله تعالى به عليها، من مال، وعقل، وتجارب، وعاطفة، وحنان، من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ومن أجل دين الإسلام.

لقد وقفت خديجة رضي الله تعالى عنها مع محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، وكانت أول من صدقه نبياً ورسولاً، ووقفت معه حينما كانت الدعوة سرية وجهرية، وحينما بالغت قريش في إيذائه صلى الله عليه وسلم، وبني هاشم والمؤمنين، دخلت خديجة معه صلى الله عليه وسلم الشعب فأثناء حصار الشعب الذي استمر زهاء ثلاث سنوات.

وبعد الخروج من حصار الشعب بوقت قصير توفيت خديجة رضي الله تعالى عنها وهي من العمر خمس وستون سنة، وفقدها صلى الله عليه وسلم بعد البعثة المشرفة من أشق المحزون، وذلك في شهر رمضان المبارك قبل الهجرة بثلاث سنوات. وقبل وفاة خديجة بثلاثة أيام توفي عم النبي صلى الله عليه وسلم أبو طالب. وحينما ذهب صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف في الطائف كان رداً عنيفاً كريماً. وسمي هذا العام عام الحزن. وإذا ضاقت الأرض بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد وسعت السماء في معجزة الإسراء والمعراج.

إن منزلة خديجة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم تختارها آية زوجة، وفيوض أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وعن كل أمهات المؤمنين.

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني) الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، بدون تاريخ.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير) الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تحقيق وتعليق محمد العيد الخراط، محي الدين مستو مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٣-١٤٠٤هـ

ابن منظور، (جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب، بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م

ابن هشام (عبد الملك) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، تصوير لبنان، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

أبو عزيز (سعيد يوسف) رجال ونساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم. دار الفجر للتراث بالقاهرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

باجودة (حسن محمد) تأملات في سورة البقرة، دار مصر للطباعة ١٩٩٢م السيرة النبوية من القرآن الكريم. الفترة المكية. مكة المكرمة ١٤٢٧هـ

بوكاي (موريس) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. دار المعرفة. مصر ١٩٧٩م

الخضري (محمد) نور اليقين من سيرة سيد المرسلين، الطبعة الثانية، دار المعارف للطباعة. بدون تاريخ.

الزركلي (خير الدين) الأعلام. الطبعة: الخامسة بيروت ١٩٨٠م.

سابق (سيد) فقه السنة. دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) تفسير الجلالين.

مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري)

النيسابوري) صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. تصوير المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة.

المودودي (أبو الأعلى) نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور. بيروت ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م

النووي (أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف) تهذيب الأسماء واللغات. تصوير بيروت.

ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) معجم البلدان. بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٧
الإهداء	١٠
تمهيد.	١١-٣١
نسب أم المؤمنين وحياتها قبل صلى الله عليه وسلم.	١٣
المرأة المثالية التاجرة.	١٨
وجعل بينكم مودة ورحمة.	٢٢
فضائل خديجة.	٢٧
قصيدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها.	٣٢-٦٩
بنت مكة التاجرة	٣٣
بنت مكة المثالية.	٤٩
زوجة مثالية.	٦٥
بدء الوحي.	٧٦
جبريل الذي أتى موسى يجيء محمداً بدين الحق.	٩٣
خديجة تسكن محمداً والدعوة السرية.	١١٨
الجهر بالدعوة.	١٤٦
فرض الجهاد وقيادة خديجة.	٢١٩
فضائل خديجة.	٢٥٠
الخاتمة.	٢٧٠
فهرست المصادر والمراجع.	٢٧٢

فهرست الموضوعات . ٢٧٥
موجز العمل . ٢٧٧

موجز العمل

بفضل من الله تعالى ونعمة، تمّ من الصفحات السابقة كتابة قصيدة أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، وهي قصيدة رائية في بحر الطويل تقع في (٢٥٤) ألفين وخمسمائة وعشرين بيتًا، ومطلعها:

خَدِيجَةُ بِالرِّضَا تَعْظُمْ تُسَرُّ ... فَإِنَّا أَخْلَاقُ أَحْمَدَ تَبْهَرُ

ويسبق القصيدة تمهيد يتحدث عن بعض القضايا التي تخدم القصيدة، والحقيقة أنّ القصيدة والتمهيد عملان متكاملان.

لقد أكرم الله تعالى كلًّا من محمد صلى الله عليه وسلم وخديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، بزواج كلٍّ منهما بالآخر. إنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف المرسلين، عليهم جميعًا صلوات الله تعالى وسلامه، وإنّ معناه أنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم سيكون عليه عبءٌ كبيرٌ كي يبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة، وهو بحاجة إلى الزوجة التي تعينه. وكان هناك بفضل الله تعالى امرأةٌ واحدة هي التي تستطيع أن تقوم بهذه المهمة. وهذه المرأة هي خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها. وقد توفي خديجة رضي الله تعالى عنها وهي في الخامسة والستين من عمرها، ودفن الرسول صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة في سفح جبل الحجون بمكة المكرمة، لم تكن من الأوفق أيّ زوجةٍ أخرى تستطيع أن تقوم بدور خديجة رضي الله تعالى عنها.

إنّ خديجة التي كانت تكبر محمدًا بخمس عشرة سنة، هي المرأة الكاملة العقل في سنّ الأربعين التي اختارت محمدًا الأمين زوجًا لها. وهي التي مكّنت محمدًا من عمل كلّ الفعاليات التي يقوم بها دائمًا، وبخاصة الخلوة في غار حراء ومن غير الغار كي يتفكر

وتبدو تروي عبادة الله تعالى على ملة جده إبراهيم عليه السلام.

وخديجة هي التي وقفت مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل تجاربه، حينما نُبئ بسورة العلق، وأُرسل بسورة المدثر وهي أول شخص أسلم على الإطلاق وصدق محمد صلى الله عليه وسلم. وهي التي منحت محمداً صلى الله عليه وسلم عطفها، وحنانها، وتجاربها، وحنانها الذي فقده بوفاة أمه آمنة بنت وهب. وهي التي منحته كل ما تملك، وهي التي رزق منها الولد.

لهذه الأسباب وغيرها كانت خديجة نسيج وحدها، ولم ترق إلى مستواها أي زوجة أخرى بلا استثناء، وتقديراً لها لم يتزوج محمد صلى الله عليه وسلم عليها حتى توفيت، ومن باب حسن رعاية محمد عهد خديجة، كان يذكرها دائماً، ويصل أهلها، ويكرم صديقاتها، ويُعلن عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى رزقه عليها الصلاة والسلام حبها، وهي التي لازمته في سرائه وضرائه، بما في ذلك حصار الشعب.